مفهوم المُبادرةِ فـــي القـــرآن الكريم ودلالاتها

د. سالم فرج أبوخطـــوة ــ قسم الشريعة- كلية العلوم الشرعية-تاجوراء

المقدمـــــــــــة :

الحمد لله، - والصــلاة والسلام - على نبيّه ومصطفاه، وعلى آله، وصحبه، ومن والاه. أما بعد، فإنّ من أعظم القيَم التي يحثّ القرآن الكريم عليها، ويدعو إليها: قيمة المبادرة، فهي عنوان النجاح، وطريق الإصلاح، وهي من مظاهر الجدّية، وعلو الهمّة، ومن وسائل تحقيـــق التقدّم للفرد والمجتمع.

وإنّ من دواعي البحث في هذا الموضوع ما نراه في زماننا من مظاهر السلبية والأنانية، وضعف الهمّة والعزيم ة في المسارعة إلى الأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة في شتى المجالات؛ مما يتطلب المساهمة في بيان هذا الخلق النبيل، والتذكير بفضائله، ومعرفة مدى أهميته في نهضة المجتمع المسلم.

ولعلّ من إشكاليـــة البحث في هذه مثل القيم الساميـــة ما يلاحظ من قصور بعض الناس في فهمها، أو حصر لمعانيها في مجالات ضيّقة، أو توظيفها في جوانب محدّدة.

ما هو مفهوم المبادرة؟ وما فضائلها؟ وما أهميتها؟ وما أهمّ صورها؟ وما معوّقاتها؟

هذا ما يهدف البحث – بعونٍ من الله تعالى- إلى الإجابة عنه، ودراسته في ضوء دلالات بعض آيات القرآن الكريم من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول- مفهـــوم المبادرة

تُطلق المبادرة في اللغة ويرادُ بها المسارعة، فيقال: بادر إلى الشيء مبادرةً، وبداراً، أيْ : أسرع[1]، ومنه قوله – تعالـــى- : **وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَاراً** سورة النساء ، الآية 6 . ، أي : مسارعةً ، وهي العجلة إلى الشيء[2]، ومن معانيها: الظهور، وبلوغ الغاية، وكمال الشيء، وامتلاؤه[3]، وقيل : سمّي البدر بذلك ؛ لمبادرته الشمس بالطلوع [4] .

وتطلق المبادرة على المسارعة إلى الخيرات، والمنافسة في العمل الصالح، والمسابقة في أعمال البر والصلاح، والتميز بأفكار جديدة، وآراء سديدة ، ومن الألفاظ القرآنية المقاربة لمعنى المبادرة لفظ المسارعة كما في قوله – تعالى - : ﴿**سَارِعُواْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [سورة آل عمران الآية 133]، أي : وبادروا إلى العمل لما يوصلكم إلى مغفرة ذنوبكم ويدخلكم جنةً واسعة المدى، أعدّها الله لمن اتقاه، وامتثل أوامره، وترك نواهيه"[5] ، ومنها لفظ المسابقة؛ كما في قوله – تعالـــى - : ﴿ **سَابِقُواْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍمِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ**﴾، [سور الحديد ، الآية : 20] ، تحثّ الآيتان الكريمتان على أهميــة المبادرة إلى سبل الخير، والمسابقة إلى أبواب البر؛ دون تسويف، أو تأجيل. وقد جاء التعبير في الآية الأولى بالمسارعة ولو كان العبد لمفرده، وأما في آية الحديد فقد جاء التعبير بالمسابقة التي تدل على التنافس في العمل الصالح مع الآخرين، وكلاهما فيه حثّ للعبد على " المبادرة إلى الخيرات من فعل الطاعات، وترك المحرّمات التي تكفّر عنه الذنوب والزلّات، وتحصّل له الثواب والدرجات"[6].

المطلب الثانـــي- فضائل المبادرة وخصائصها:

للمبادرة فضائلها، وخصائصها التي تتميز بها، يحسن بالمسلم إدراكها، ومعرفتها؛ ليتحلى بها، ويسير على مبادئها، ويمكن استقراء تلك الفضائل، والخصائص من خلال النقاط الآتيـــة :

1- اغتنام الوقـــت : إنّ من فضائل المبادرة إلى الخــيرات تقدير قيمة الوقت، واغتنام أيام العمر في فعل الخير، والاستباق إليه، وانتهاز الفُرص، والبعد عن العجز والكسل، وعدم التفريط في نعمة الفراغ التي قال عنها النبي - صلى الله عليه وسلم - : " **نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**" [7] والغبن هو : الخسارة، والنقص، وقيل: ضعف الرأي . يقول القسطلاني عند شرحه لهذا الحديث" فإذا اجتمع الصحة والفراغ وقصر في نيل الفضائل فذلك الغبن كل الغبن؛ لأن الدنيا سوق الأرباح ومزرعة للآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه

وصحته في طاعة مولاه فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن إلا الهـرم"[8].

2- الامتثال لأوامـــر الله – تعالى- والفوز برضوانه : وهو ما بينته الآيات القرآنية في عدة مواضع ، فقد أمر الله – تعالى- عباده باستباق الخيرات، فقال – تعالـــــــى- : ﴿ **فَاسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ** ﴾. [سورة البقرة 148]

3- **الاقتـــداء بالأنبياء- عليهم الصلاة والسلام-، والتأسي بخصال الصالحين:** الذين يحرصون على الخيرات، فيبادرون بها، ويسابقون إليها، فقد أثنى الله تعالى على بعض أنبيائه المصطفين الأخيار بقولـــه : ﴿**إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِے ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبا وَرَهَباوَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَۖ** ﴾ [سورة الأنبياء الآية : 89]، وفي موضع آخر ذكر تعالى صفات عباده المؤمنين، ثم مدحهم بقوله - جل وعلا- : ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِے ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَۖ** ﴾ [سورة المؤمنون الآية 62] : يقـــول الطبري: " أي: هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم، يبادرون في الأعمال الصالحة، ويطلبون الزلفى عند الله بطاعتـــه" [9].

4- **المبادرةُ سلوكٌ يدلّ على روح التعاون** : ونشر الوعي بين الناس، ومن أسباب تآلف المجتمعات، وتكافل أفرادها، ونهضة الأمم، وتقدّمها، وهو ما تضمنته بعض دلالات القصص القرآني؛ كما في قصة ذي القرنين الذي بادر ببناء السدّ والمسارعة لحماية رعيته، ومشاركتهم له في المبادرة إلى العمل والإصلاح، والبعد عن الاتكالية والكسل. " لقد قام ذو القرنين بمهمة الحاكم الممكَّن له، فقوَّى المستضعفين ونقلهم إلى ساحة الجدّ عاملين" [10]. وكما في قصة النملة التي أنقذتْ قومها، فبادرت بنصحهم، وتحذيرهم حين خشيت عليهم من جند سليمان – عليه السلام – قائلة لهم: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَۖ**﴾ [سورة النمل الآية: 18] فأمرتْ، وحذّرت، واعتذرتْ عن سليمان وجنوده بعدم الشعور" [11] . مناصحةٌ سديدة، ومبادرةٌ حميدة، جعلت سليمان – عليه السلام- يتبسّم منها، ويستبشر بمبادرتها، فتضرّع إلى ربه أن يلهمه الشكر على ما أنعم به عليه من نعم ظاهرة، ومعجزات باهرة ، ومن دلالات المبادرات الهادفة في القصص القرآني ما حصل أيضاً لنبي الله سليمان – عليه السلام- مع الهدهد الذي تغيّب عن الحضور مع بقية

الطير، فأسرع بالرجوع إليه، وذكر له بما أحاط بما لم يحط بعلمه، وما شاهده من قوم سبأ الذين كانت تملكهم امرأة، وكانوا يعبدون الشمس من دون الله، فبادر الهدهد بالإنكار عليهم، وبادر بدعوتهم إلى التوحيد، وإخبار سليمان – عليه السلام-بأمرهم، وقد كانت كل تلك المبادرات من أسباب دخول ملكة سبأ وقومها في دين الله، ونبذهم لكل مظاهر الشرك، والاستسلام لله ربّ العالمين ، وفي كثير من القصص القرآني دلالات تربوية، وعبر إيمانية تؤكد على أهمية المبادرة، وفضيلتها.

5- **من فضائل المبادرة أنها علاج لآفة التسويف**، وتأخير العمل، وحافزٌ إلى الاستفادة من كل لحظات العمر في عمل مثمر، أو علم نافع، أو إنجاز مثمر، أو مهارة هادفة، فالعمر مهما طال فهو قصير، والوقت سرعان ما ينقضي، والفرصة إذا فاتت لا تعود. لذلك يحثّ القرآن الكريم دائماً الإنسان على اغتنام وقته، ويحذّره من إضاعة عمره، ويذكره بموقف الاحتضار حين يودع الدنيا وهو يتحسّر فيها على تقصيره وتفريطه، ويندم بعد فوات الأوان، فيقول - جل وعلا- :﴿ **وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْساً إِذَا جَا أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [سورة المنفقون ، الآية **10- 11**]، أوصى نبيّنا -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح باغتنام خمس قبل خمس، وذكر منها " فراغك قبل شغلك" [12].

6ـ من فضائل المبادرة أنّ فيها نيْل درجات السابقين في الإيمان، واللّحاق بركب الأولين الفائزين بالجنة والرضوان، الذين أثنى الله عليهم في كتابه الكريم فقال- جل وعلا- : ﴿ **وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالذِينَ اِتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِے تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ**﴾[سورة التوبة ، الآية :**101**]، وقال- تعالى - : ﴿ **وَالسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ**﴾ [سورة الواقعة، الآية :**10-11**] ، يقول ابن عاشـور: " أَيْ: أَنَّهُمْ سَابِقُونَ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ تَتَسَابَقُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الزَّكِيَّة؛ كَقَوْلِهِ - تَعالى-: ﴿**وَفِے ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ** ﴾ [سورة المطففين ، الآية **26**]، فَهَؤُلَاءِ هُمُ السَّابِقُونَ إِلَى الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ، وَهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ، وَتَلَقَّوْا مِنهُم شَرَائِعَهُم، وَهَذَا الصِّنْفُ يُوجَدُ فِي جَمِيعِ الْعُصُورِ مِنَ الْقَدَمِ، وَمُسْتَمِرٌّ فِي الْأُمَمِ إِلَى الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّة"[13]، وحين رغّب القرآن الكريم في

الإنفاق في سبيل الله بين فضيلة السابقين فقال - تعالى- :﴿ **لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [سورة الحديد ، الآية : 10] أرشدت الآية الكريمة إلى أنه " إذا كان الإنفاق في الخيرات فضيلة، فإنّ السبقَ في الإنفاق تمام الفضيلة، وخصوصاً في أوقات العَوز والضيق"[14].

7- **من الأمور التي تبين فضيلة المبادرة ما تتميز به من شحذ الهمم**، والانشغال بمعالي الأمور، والتنافس فيها . ومما يؤثر عن الإمام مالك- رحمه الله - أنه كان يقول: " وعليك بمعالي الأمور وكرائمها، واتّق رذائلها وما سفّ منها، فإن الله – تعالى- يحب معالي الأمور ويكره سفسافها"[15]، ويقول ابن الجـــوزي: " من علامة كمال العقل : علو الهمّة، والراضي بالدُّون دنيّ"[16].

المطلب الثالث ـ أهميـــــة المبادرة:

تتجلّى مكانة المبادرة وأهميتها في تنوع مجالاتها، وإقامة مشاريع جادّة تضيف للحياة معارف جديدة، وخبرات عديدة. ويكمن أثر المبادرة وتأثيرها - أيضاً - من خلال الاستفادة من التجارب الناجحة، والأفكار الرائدة، وبذل الجهد؛ للوصول إلى أسمى الغايات، وأعظم الأمنيات. وبقدر الجدّ تكتسب المعالي. وما مصنّفات العلماء في شتى الفنون، ومساهماتهم في التعلّم والتعليم إلا مبادرات صادقة أثمرت أهميتها في ميادين المعرفة والوعي لاتزال آثارها حاضرة بيننا إلى اليوم. وتبرز أهميّة المبادرة - أيضاً - في كونها دافعٌ من دوافع التغيير والإبداع، وسمةٌ من سمات النجاح والتطور في جميع مجالات الحياة، وفي كونها دليل على عِظَم الهمّة وعلوّها ، وتتعلق أهمية المبادرة بعلو الهمة حين " يسمو هذا الخُلق بصاحبه، فيتوجَّه به إلى النهايات من معالي الأمور، فهو الذي ينهضُ بالضعيف يُضطهد أو يُزدرى، فإذا هو عزيزٌ كريم، وهو الذي يرفعُ القوم من سقوطٍ، ويُبدلهم بالخمول نَباهةً، وبالاضطهاد حريةً، وبالطاعة العمياء شجاعةً أدبية" [17].

إن من الأزمات التي يعاني منها بعض المسلمين العاملين في مجال الدعوة والإرشاد هي عدم تقديرهم لأهمية المبادرة فينشأ من ذلك ظاهرة دنوّ الهمة، وضعف العزيمة،

وغياب المشاريع الرائدة، والتهرب من تحمّل المسؤولية، وعدم المشاركة في أي مبادرة من مبادرات الإصلاح والتغيير.

المطلب الرابع- صـــورٌ من المبادرة في القــرآن الكريم:

تنوعت صــور المبادرة ونماذجها في كتاب الله – تعالى- ، وهو ما يؤكّد على أهمية المبادرة، وشمولها لجميع أبواب الخير، وأنها متعلقة بكل جوانب البذل والعطاء، وليست محصورة في جانب دون جانب، ومن أهم تلك الصور ما تضمنته الدلالات القرآنية الآتيـــة:

1-**المبادرة إلـى الاستسلام لله ـ تعالى ـ والانقياد لأوامــره** : من المبادرات الإيمانية التي تزيد المؤمن إيماناً، وتدل على قوة عقيدته، وكمال توحيده، الاستسلام لأوامر الله، وطاعته، والالتزام بشرعه، وهو المنهج الرباني الذي سار عليه الأنبياء والمرسلين- عليهم السلام- في دعوتهم، وعقيدتهم، كما في قصة الخليل إبراهيم مع ابنه إسماعيل – عليهما السلام- حين أمر بذبحه، فما كان منه إلا أن بادر مع ابنه بكل طمأنينة ويقين إلى تنفيذ أمر الله تعالى، والتسليم والخضوع له عز وجل، ففدى الله تعالى الولد بذبح عظيم. وفي ذلك يقول - تبارك وتعالـــى - : ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَنْ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾، **[سورة الصافات ، الآية : 103- 107]**

2-**المبادرة في الدعـــوة إلى الله :** والسعي في الإصلاح والتوعية بلا تردد ولا تأخير، كما جاء في قصة مؤمن آل فرعون الذي بادر بنصح قومه، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لاتباع سبيل الرشاد، وتحذيرهم من يوم الحساب والمعاد؛ إذ قال لقومه : ﴿**وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ** ﴾**[سورة غافر، الآية : 32-33]**

و من صور المبادرة المسارعة إلى الدّعوة إلى الإيمان والتوحيد في قصة أصحاب القرية التي جاءها المرسلون، فكذبوهم، وجاء رجل من أقصى المدينة مسرعاً إلى قومه؛ لينصحهم باتباع دعوة المرسلين. يقول - تبارك وتعالى - : ﴿ **وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ وَمَالِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ **[**سورة يس : 20- 22]، وفي وصفه بالسّعي يدلّ على أن " النفوس العظيمة تبادر إلى المعالي، وقَبول الحق، ولا تتهيّب

الدعوة إليه، ولا تخشى فيه عذل عاذل "[18]. يقول ابن عاشور: " وهذا ثناءٌ على هذا الرجل، يفيدُ أنه ممّن يُقتدى به في الإسراع إلى تغيير المنكر"[19].

3-**المبادرة إلى قضاء حوائج الناس** ، وتقديم يد العون لهم، ومساندتهم في أوقات الشدّة والضيق، ومن صور هذه المبادرة ما أخبر به القرآن الكريم عن قصة الكليم موسى – عليه السلام– مع الفتاتيْن اللتيْن كانتا تمنعان غنمهما عن ورود الماء حتى ينصرف الرعاء بأغنامهم، فبادرهما بالسؤال، ومعرفة السبب ؛ إذ يقول – تعالى - : ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ**﴾[سورة القصص ، الآية 23-24] وعلى الرغم مما تعرّض له نبيُّ الله له موسى – عليه السلام- من جوع، وتعب، ومشقة السفر، وشدة الحر فإذا به يبادر إلى مساعدة الفتاتين؛ رحمةً بهما، وإحساناً إليهما، ومخافةً عليهما من مزاحمة الرجال، وهذا هو شأن أصحاب المروءة والفطرة السليمة، وقد كانت تلك المبادرة الصادقة سبباً في زواجه، وتيسير أموره.

4- **المبادرة في طلب العلم**، والرحلة إليه، وتحمل المشاقّ في سبيله، وهي –أيضاً- من المبادرات التي تميزت بها حياة نبي الله موسى – عليه السلام- عندما رحل إلى الخضر طلباً للعلم فقال له بكل أدبٍ وتواضع: ﴿ **وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ** ﴾ [سورة يس، الآية 19-21] ، يقول السعدي :" فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنّك هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدّعي أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلّمه، وهو جاهل جداً، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلّم"[20].

5-**المبادرة إلى التوبة** : والإنابة إلى الله – جل وعلا- عند الوقوع في المعصية، والمسارعة إلى الإقلاع عنها، وعدم الإصرار عليها، فالتوبة من الذنوب، والندم عليها هي وظيفة العمر، وهي واجبٌ ضروري، ومنزلة من منازل السائرين إلى الله الذين يسعون إلى إصلاح القلوب، ومحو آثار الذنوب. يقول ابن القيم: " المبادرة إلى التوبة

من الذنب فرضٌ على الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبةٌ أخرى، وهي توبةٌ من تأخير التوبة" [21]. ومن المبادرات التي تدل على أهمية المسارعة إلى التوبة والاعتراف بالذنب ما وقع لأبينا آدم – عليه السلام- وزوجه من إغواء الشيطان لهما، فزيّن لهما المعصية بأكلهما من الشجرة، فأخرجا من الجنة وأهبطا إلى الأرض، وعاتبهما ربهما ، فندما وبادرا بالتوبة والإنابة لله – تعالى-، ومناجاته، والتضرع إلي بطلب مغفرته و رحمته : ﴿ **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ **[الأعراف : 23]**

6-**المبادرة إلى الإصـــلاح بين الناس :** والسعي في المصالحة بين المتخاصمين، والحفاظ على إبقاء علاقات التعاطف والتآلف مترابطة بين المسلمين، كالبناء المتماسك في قوته وترابطه، وكالجسد الواحد في توادّهم وتراحمهم؛ لذلك جاء الأمر بإصلاح ذات البين، والسعي في إخماد نيران العداوة والبغضاء بين المسلمين في مواضع كثيرة من كتاب الله – جل وعلا-، منها قوله - تعالى- :﴿ **لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[النساء ، 114] ، قال الطبريّ قوله – تعالى - :﴿ **أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ ، وهُو الْإِصلَاحُ بَيْنَ الْمُتَبَايِنَيْنِ، أَو الْمُخْتَصِمَيْنِ بِمَا أَبَاحَ اللَّهُ الْإِصْلَاحَ بَيْنَهُمَا؛ لِيَتَرَاجَعَا إِلَى مَا فِيهِ الْأُلْفَةُ، وَاجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ عَلَى مَا أَذِنَ اللَّهُ وَأَمَرَ بِهِ "[22] ، ومنها قوله- تعالى- : ﴿ **وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ ، أَي : اتَّقُوا اللَّهَ فِي أُمُورِكُمْ، وَأَصْلِحُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَلَا تَظَالَمُوا، وَلَا تَخَاصَمُوا، وَلَا تَشَاجَرُوا؛ فَمَا آتَاكُمُ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ خَيْرٌ مِمَّا تَخْتَصِمُونَ بِسَبَبِهِ" [23] ، وقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم- أن المبادرة إلى إصلاح ذات البين أفضل من نوافل العبادات فقال – عليه الصلاة والسلام-: " **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ .هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**"[24].

7-**المبادرة إلى النفير في سبيل الله وتلبية نداء الجهاد،** وهي من الصور التي تضافرت الآيات القرآنية في سورة آل عمران، والتوبة، والأنفال، والأحزاب،

وغيرها؛ للحث عليها، وبيان فضيلة الجهاد والمجاهدين لإعلاء كلمة الله تعالى، والمسابقة في ميادين العزة، والبطولة، والشهادة؛ لنصرة الدين، والفوز برضوان رب العالمين.

المطلب الخامـــس- مُعوّقات المبادرة :

من المعلوم أنّ كلّ عمل جادّ تعترض طريقه عوائق وعقبات، وكذلك الشأن في المبادرات الجادّة، والبرامج الهادفة، فإن هناك عدّة معوّقات تهوّن من شأنها، وعقبات تُضعف عزيمتها، وتقلّل من أهميتها، ويمكن إجمالها في النقاط الآتية [25]:

1-التكاسل ودنوّ الهمة، وإيثار الراحة على التعب، والدّعة على الجدّ، والفراغ على العمل.

2-التثاقل عن المبادرة إلى أعمال الخير، والتهرب من المشاركة في أي مجال من مجالات الدعوة، والإصلاح.

3-التحسّر على الماضي، والتغنّي بأمجاده، والتخلّف عن العمل في الوقت الحاضر بحُججٍ واهية، ومعاذير زائفة.

4-كثرة التـلاوم ، وذمّ الواقع، والمبالغة في انتقاد الأوضاع، والتهوين من مبادرات الآخرين، والتشكيك في نواياهم.

5-اليأس من الإصلاح، خاصةً عند فساد الزمان، وكثرة الشدائد والمحن، فيكون ذلك عند بعض الناس عائقاً أمام أيّ مبادرة، أو دعوة للتغيير والإصلاح.

6-الانشغال بسفاسف الأمور، والتغافل عن معاليها، والتعلّق بملذات الحياة الدنيا.

7-التكبر عن اتباع الحق، والتعالي عن المبادرة إلى مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال.

8- توهّـمُ بعض الناس أن السلامة في القعود عن العمل، وترك المبادرة بحجة طلب العافية، والبعد عن المخاطر والمتاعب، كما قال الشاعر:

حبُّ السلامة يُثني عـزمَ صاحبه عن المعالي ويُغـري المرءَ بالكسلِ [26]

الخاتمـــــــة :

من خلال التأمّل في بعض دلالات القرآن الكريم لمفهوم المبادرة يخلص البحث إلى أنها ثقافة شاملة لجميع مجالات الحياة، وأنواع الخير، وجوانب الدعوة والإصلاح، وأن لها عدة صور ونماذج في القصص القرآني تؤكد على أهميتها في حياة الأنبياء، وسير الصالحين، وأن لها عقبات ومعوقات تعترض طريقها فينبغي التنبيه عليها والحذر منها، والسعي في إزالتها من طريق العمل والعاملين. والله الموفّق.

الهوامـــــــــــش :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- ينظر: المصباح المنير، لأبي العباس أحمد بن محمد الفيومي، شركة القدس للتصدير، القاهرة، ط الأولى، 1429هـــ ، 2008م.، ص41، مادة- بدر.

2-ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، الدار التونسية 1984م. (244/4).

3- ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس القزويني، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت،1991م. (208/1)، مادة- بدر.

4- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، ط الأولى، 1412ه.، ص110، مادة- بدر.

5- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى الحلبي، ط الأولى، 1365هـ ،1946م. (68/4).

6- تفسير ابن كثير(441/4) .

7- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، ط الثانية،1422هـ.، كتاب الرقاق، عن ابن عباس رضي الله عنهما، حديث رقم: 6412.

8- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الأميرية، مصر، ط السابعة،1323هـ. (236/9).

9- جامع البيان في تأويل آي القـرآن، للطبري، دار هجر، ط الأولى، 2001م (47/19).

10- تدبُّر سورة الكهف، د. ناصر بن سليمان العمر، مؤسسة ديوان المسلم، ط الثانية، 1435هـ، 2014م.، ص 132.
11- قصص الأنبياء، لابن كثير الدمشقي، دار الطلائع، بدون ط، 2005م.، ص 499.
12 - المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى 1411ه،1990م.، كتاب الرقاق، حديث رقم:7846. وقال: على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.
13- التحرير والتنوير (287/27).
14- هدايات القرآن الكريم، لمجموعة من المتخصصين والباحثين، شركة معالم التدبر، الرياض، ط الأولى، 1440هـ.، ص538.
15- ترتيب المدارك، للقاضي عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1418هـ ،1998م. (188،187/1).
16- صيد الخاطر، ص28.
17- رسائل الإصلاح، لمحمد الخضر حسين، دار النوادر، سورية، لبنان، الكويت، ط الأولى،1431هـ ،2010م.، ص 52.
18- هدايات القرآن الكريم، لمجموعة من المتخصصين، ص441.
19-التحرير والتنوير (366/22).
20- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، لعبدالرحمن السعدي، ت: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، 1420ه،2000م.، ص482.
21- تهذيب مدارج السالكين لابن القيم، هذبه: عبد المنعم صالح العلي العزي، دار الغد العربي، القاهرة، بدون ط ت.، ص 157.
22- جامع البيان (7/ 481).
23- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، دار الآفاق العربية، ط الأولى، 1417هـ ، 2006م. (2/ 418).
24- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، وآخرين، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ط الثانية،1395هـ، 1975م.، حديث رقم: 2509، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
25-ينظر: آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، دار الوفاء، مصر، ط الأولى، 1012م. ، ص 373، الهمّة العالية معّوقاتها ومقوماتها، تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد، دار القاسم، الرياض، ط الثانية، بدون ت. ، ص29.
26- البيت للطغرائي من بحر البسيط، وهي من لاميته المعروفة بلامية العجم، ينظـر: ديوان الطُّغرائي، تحقيق : د. علي جواد، ود. يحيي الجبوري، مطابع الدوحة الحديثة الثانية،1406هـ ، 1986م.، ص305.